طريق الذكريات

القصة الفائزة بالجائزة الاولى

سعيد صالح الشيخ محمود
الصف الثالث تكميلي - مدرسة حطين التكميلية

وعندما اخترقنا الحدود ذاك المساء ، بعد ان غابت الشمس الى ما وراء البحار كانت السماء كوكبا منقوشا قد ارتدت حلتها الزاهية المزركشة بنجوم بدت وكأنها احرف الموت عند النهاية ، وكانت الاسلاك تبدو امامنا رقيقة ولطيفة بعد ذاك الغياب الذي سقط من الوهن ، سقط الغياب على حافة التاريخ عندما تدافعت امواج الشوق تهدهد على شواطىء الوطن ... واستباح الشوق ابتسامة الطفولة عندما غردت بلابل الشوق على احضان المنافي .

كان شعور بالفرحة يغمرنا ، لكن لم نحترف الفرح بعد ، نظرت الى وجه ليلى كان مشرقا يبتسم ... شعرت لحظتها بان ابتسامة الطفولة قد عادت الينا، عندما عبرنا الاسلاك والليل البهيم يلف العالم بصمت ، وطرقات الليل الموجة تستطيل امامنا ... تمتد ... تطاردنا كامتداد الظل على ضوء القمر .

ليلى ... ما اصابك ، دعينا نسير ، ليس لدينا مجال لاضاعة الوقت ، فالطريق الى الوطن ما زال طويل ، نظرت الى السماء وتراءى لها وجه هاشم الذي احبته واحبها منذ الطفولة . كان اخاها الاكبر وهي تصغره بسنتين .

شردت ليلى ... حلقت بعيدا حيث البقعة الجميلة التي احبت ، والتي طالما كانت تبكي ، تبكي بنشيج لكن بدون دموع ، وغصت في حلقها تذكرها بمرابع الطفولة ، وبحقول السنابل التي كانت تلعب بين مروجها .

ـ لماذا انت شاردة هكذا يا ليلى ؟

تطلعت الى وجهي بتامل ، ربما كانت لا تملك غير التامل في تلك اللحظات ، كادت دموعها ان تنهمر لولا لحظات من الصمت لم اتكلم خلالها ، وهي ... هي لم تبح بكلمة واحدة سوى انها احالت نظرها عن وجهي واخذت تحدق بالارض ، اخذت ارقب نظراتها ، علني استطيع ان اتبين ماذا يعني شرودها بل وفي تلك اللحظة بعد ان تأملت وجهي ، واذ بنظراتها تتسع لتشمل جسم ذلك العملاق المنتصب امامنا كجبل صخري لا يلين كان ذلك العملاق هو شجرة زيتون حسنة .

كان وجه هاشم لا يفارق مخيلتها ، لقد عشقت هذا الوجه حتى العبادة ... ان حادثة استشهاد هاشم قد تفجرت الآن في مخيلتها يوم كانوا يدرسون في المدرسة التكميلية ، عندما ابتعدوا عن البيت ، حين كانت الشمس تستعد للرحيل ، لكن المساء كان هادئا خلافا لليلة السابقة حيث كانت مستعمرة « مرجليون » مسرحا لانفجار في سيارة عسكرية ، كانت تقل ثلاثة جنود وضابط ، هذا وقد اعترف العدو بالحادث ، وقال انه قتل في هذا الانفجار جندي واحد ، لكن هاشم لم يصدق هذا الادعاء وقد اثبت لليلى ان سيارات الاسعاف بقيت تعمل طوال الثلاث ساعات التي تلت الانفجار .

وفجاة ... انخضت ليلى عينيها ، وكأنها تراءى لها لحظة اطلاق النار على هاشم وعندما صرخ ... اخرجوا من بلادنا . انحنت ليلى على الجسم الذي كان ينبض بالحياة والرفض ، قبلت الجرح النازف ، وكانت تحاول ان تضمده ، لكن الرفض كان قد اعطى ثمرة ، وعانق الارض بعنف ... وكأنه قد استوحى الشهادة في سبيل الارض من الارض نفسها .

وحين كنا نلتقي في لقاءاتنا السرية التي كنا نعقدها لبحث الاوضاع القائمة كان الحديث يتشعب بيننا عن الاهل في الداخل وما الذي يترتب علينا ان نفعله لعمل شيء ما . وكثيرا ما كانت تحدثني عن هاشم وعملياته التي كان يقوم بها مع الرفاق . وكلماتها التي كانت كثيرا ما ترددها لم تزل صداها يخترق اذني كاعصار حطمته رياح الثورة على صخرة الرفض، لم يمت هاشم يا احمد ... انه يعيش فينا اكسير الحياة من دمنا النابض لم يمض ونحن نستمد من اكسير الرفض والثورة ... لا لم يمت هاشم يا احمد .

كانت تلك الكلمات تهزني تقتلعني لترحل بي الى معبد الايمان بالشيء الذي كان .

عشر دقائق مرت ، وكانها صمت جيل ، كانها دهور مرت ، ونحن في صمت مطبق ، عشر دقائق كانت جديرة بان ترحل بنا الى عالم ليس له نهاية ولا حدود . في حين هبت ليلى واقفة على قدميها... وعاودنا السير باتجاه الوطن ، وخطوات ليلى تسابق المسافات واصرارها الذي بدات به الرحلة كان ينمو مع كل خطوة فاي شيء يقتل الاصرار والارادة ، اي شيء يقهر الارادة .

الليل بدا كئيبا وهو يعانق الكون ، ونفيق ضفادع كان يسري عبر حلكة الليل ليقطع اوصال السكون ، في تلك الساعة والعالم يغط في نوم عميق . حين نظرت الى وجه ليلى ، وابتسامة على شفتيها ، كانت تنظر الى وجهي بحنو طفل رضيع ، ترى اين مطلع الآن ؟ لقد مرت ستة اشهر لم اره فيها ... ايكون الآن في البيت ؟ ام انه الآن في قاعدته ؟ واذكر مرة حين حدثني عن كمين يأتي صباحا ويطلق على الوادي الواقع شمال « المطلة » . وقد استعد ذات ليلة مع مجموعة من الرفاق لمهاجمة ذلك الكمين في الصباح ، وكان مؤلفا من مجنزرة واحدة وسيارة جيب تحمل رشاش ٥٠ ، وقد وصفت لي الهجوم وصفا جيدا ... حين انقض ثائر على المجنزرة وقذفها بقذيفة (ب ٧) فاعطبها ، وحين قفز الجنود من السيارة ليختبئوا وراء تلال ترابية صغيرة . كان الجنود قد اقاموها تحسبا لمثل هذه العمليات ، وقد انتبكنا معهم بالرشاشات الخفيفة ، وكانت المسافة لا تتجاوز الثلاثين مترا ، وعاد ثائرا بقصف السيارة بقذيفة ثانية فاصابها اصابة مباشرة واشتعلت النيران فيها ، وانسحبنا بعدها ولم نعرف خسائرنا ... وفي قعر الوادي كان يجب ان نجتمع ، اجتمعنا لكن ثائر كان قد فقد وهو ينسحب ولم نعرف عنه شيء الا عند المساء ، عندما عاد ثلاثة من الرفاق الى مكان المعركة ، وجدوه شهيدا وقد سلب منه سلاحه .

صمتت ليلى وكانت تريد ان تعدو لولا ان امسكتها من كتفها ، اذا تسرعين يجب ان نأخذ حذرنا ، ونحن لا يوجد معنا سلاح كفؤ لمواجهة اي كمين او دورية تباغتنا في تلك الساعة من الليل ... فلا بأس علينا ان سرنا هكذا فنحن الآن في منتصف الطريق الى الوطن ومعرضين للخطر اكثر من اي مرة سابقة .

انطلقنا من جديد وكنت ممسكا بيد ليلى ، وقد شعرت بان جرأتها هذه المرة اكثر عندما عادت قابلية الحديث لها من جديد ، وخطواتها لم تزل تتسابق، وتسابق المسافات ، التي كانت تحسها وكانها طويلة ... وحدثتني هذه المرة عن عملية قام بها هاشم وحيدا حين قذف دورية عسكرية كانت مؤلفة من سيارة لوري محملة بالجنود بقنبلة يدوية ، وانطلق يجري مخترقا زقاقا ضيقا من ازقة الناصرة وعاد سريعا الى البيت وهو يلهث ، واخذ يقبلني ... قلت له ما بك يا هاشم فقال : انه قذف سيارة لوري وقد اعطبها ، وقد جاء يجري الى البيت وقد عام والدي بالحادث فضحكا ، ونام تلك الليلة ... وفي الصباح ذهبنا الى المدرسة كالعادة .

وعند بداية مرتفع قمة ليست تعلو كثيرا ... نابعت حديثها عن هاشم وبادرتني بسؤال كانت متلهفة للرد عليه بافصى سرعة ممكنة ، اين هاشم الآن يا احمد ...؟ اخذته امه يا ليلى ، كم هي حنونة رقيقة ولطيفة ، لقد احببته لذلك اخذته لي احضانها ليعيش معها ، لا تقلقي يا ليلى ، غدا عندما نريدنا هذه الام الحنون سنرحل اليها لنضمنا ... لنحتضننا نفس الحضن الذي احتضن هاشم ، فكلنا سنرحل اليها يا ليلى .

بعد ذلك صمتنا ، وكنا قد وصلنا نهاية القمة ، وظهر الوطن امامنا ، المروج الخضر يحيط به ، اشجار البرتقال والزيتون تظلله كمظلة واقية ، وكانت سقوف البيوت تبدو وكانها تلوح لنا على الاسراع اكثر لتضمنا اليها .

قلت لليلى : ها هو الوطن يظهر امامنا ، كان صوتي رقيقا دافئا ينفجر من ضلوعي وكان شوقي يهزني بعنف ، وحنيني اقوى من البرق عندما يلتمع، حين نظرت الى وجه ليلى ، كانت صامتة تنظر صوب الشراع الذي اطل بعد ابحاره عن المدن النائية ، وكان صمتها يوحي لي انها الآن عادت الى طفولتها ، وذكرياتها اخذت تعبر عبر ذاكرتها كشيء عزيز على

في ١٩٧٥/٢/٦ دعا مركز التخطيط بالاشتراك مع اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين الى حفل توزيع الجوائز على الفائزين في المسابقة الادبية التي اجريت بين طلاب المدارس التكميلية للوكالة ، وذلك في مقر اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين .

وكان المركز قد دعا الى تنظيم هذه المسابقة للعام الدراسي ٧٣-١٩٧٤ لكن الاعتداءات الاسرائيلية على المخيمات والتي ادت في اواخر العام الدراسي السابق الى اغلاق المدارس ادت ايضا الى تاخير اعلان نتائج المسابقة .

وقد شكلت لجنة لتقييم القصص المشاركة في المسابقة من : ناجي علوش : الامين العام لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، نزيه ابو نضال ، نازك الاعرجي ، علي زين العابدين الحسيني : والشاعرة مي صايغ .

وفي بداية الحفل القى الاخ ناجي علوش كلمة ترحيبية اكد فيها على ضرورة الاهتمام بمبادرات الطلاب والطالبات الادبية من اجل تهيئة الجيل الجديد ليقاتل بالقلم الى جانب البندقية ، ويكون مؤهلا وقادرا على تعبئة الجماهير تعبئة ثورية واعية ، ودعا الى انضاج تجربة المسابقات الادبية والتعاون بين كل الجهات لتشجيع النشء والتقاط مبادراتهم وبلورتها ضمن اطر مسابقات قادمة اكثر تنظيما واكثر شمولا ، ثم وزعت الجوائز على الفائزين وقد كانوا على التوالي :

١ ـ الفائز الاول : سعيد صالح الشيخ محمود
عنوان القصة : طريق الذكريات
مدرسة : حطين التكميلية ـ عين الحلوه
الصف : الثالث الاعدادي ـ ١٥ سنة

الفائزة الثانية : نهى عبد المنعم سرحان
عنوان القصة : بكاء طفل
المدرسة : المالكية الابتدائية والتكميلية
الصف : الثالث التكميلي ١٤ سنة

الفائزة الثالثة : نهى شحاده ياسين
عنوان القصة : « فتاة حائرة »
المدرسة : مرج بن عامر التكميلية ـ عين الحلوه
العمر ١٤ سنة

الفائز الرابع : حسن عبد عيشه
عنوان القصة : بلا عنوان
المدرسة: المنصورة الابتدائية التكميلية ـ البرغليه
الصف الثالث التكميلي ـ ١٥ سنة

الفائز الخامس : جمال محمد العلي ٣
عنوان القصة : « الاسير »
المدرسة : حطين التكميلية
الصف : الثالث التكميلي ـ ١٦ سنة

الفائز السادس : فيصل عبد اسماعيل
عنوان القصة : بلا عنوان
المدرسة : شهداء فلسطين ـ صيدا
الصف : الرابع التكميلي

كما اعلن خلال الحفل عن مسابقة العام الدراسي ٧٤-١٩٧٥ للصفوف التكميلية في مدارس الوكالة في مناطق لبنان شمالا وجنوبا وفي بيروت والبقاع ، وتشمل المسابقة القادمة القصة القصيرة والتمثيلية والشعر ، وذلك ضمن الشروط التالية :

١ ـ ان لا تتجاوز صفحات القصة القصيرة ثماني صفحات ولا تتجاوز صفحات التمثيلية الاثني عشرة صفحة .

٢ ـ يستحسن ان يكتب الانتاج على الآلة الكاتبة. وان تعذر ذلك ان يكتب بخط واضح ولا يكتب على ظهر الصفحة .

٣ ـ يكتب اسم المتسابق والسنة الدراسية واسم المدرسة ويقدم الى اللجنة نسختين من الانتاج .

٤ ـ يسلم الانتاج من قصة وتمثيلية وشعر الى ادارة كل مدرسة من كل منطقة حيث تقوم ادارة المدرسة بدورها بارسال المواد الى مركز التخطيط (ص.ب ٧٢٠٦) وتذكر كلمة مسابقة .

٥ ـ اقصى موعد للاشتراك في المسابقة هو الخامس عشر من نيسان سنة ١٩٧٥ م .

٦ ـ تشكل لجنة التحكيم من كل لبنان على النحو التالي :

مندوب مركز التخطيط ـ ممثل اتحاد المعلمين ـ ممثل عن اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ـ ممثل عن دار الفتى العربي .

٧ ـ تمنح جوائز قيمة للفائزين عن افضل عشرة قصص وافضل عشرة تمثيليات وافضل عشرة قصائد شعرية . وسيكون تاريخ التوزيع الجمعة الموافق ٢١ ايار سنة ١٩٧٥ م .

والهدف اذ تثمن هذه البادرة باتجاه رعاية المواهب الادبية والفنية لابناء شعبنا وتدعو الى المزيد من التنظيم لمثل هذه المسابقات والمزيد من الجدية في توفير الظروف المناسبة لمشاركة اكبر عدد ممكن من الموهوبين واحاطة تجاربهم بالمزيد من الرعاية الجادة ، ومساهمة من الهدف في اطلاع قراءها على نتاجات اشبال الشعب الفلسطيني الادبية تنشر في هذا العدد القصة الفائزة بالجائزة الاولى ..